الفصل الخامس

الرجـــاء

لن يستقيم قلب بالخوف وحده، وإنما لابد معه من رجاء فهما كالجناحين للطائر يقول أبو علي الروزباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر، وتم الطيران، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت[1]، ولو خلت القلوب من الرجاء لانقطعت عن السير ولتعطلت عن التعبد، ولا يمكن أن تتحرك القلوب في سيرها إلى ربها إلا بالرجاء مع الخوف، إن الرجاء عبودية في القلب تبعث على العمل وتدفع إلى البذل والتضحية؛ لأن كل عامل يرجو على عمله ثوابًا، وكل عابد يرجو على عبادته أجرًا وعلى قدر رجائه في الأجر وثقته في مالكه يكون بذله وعمله.

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى طرح الحديث عن الرجاء في قالب منضبط بمنهج أهل السنة لاسيما ونحن في عصر خيمت فيه سحائب من القنوط واليأس، وقعد كثير من الناس عن العمل بسبب ذلك وهذا خداع من إبليس وجنوده، وكم في الناس اليوم من يستبعد كل البعد أن ينتصر الإسلام وأن تعود الجولة له وذلك لغلبة هذه الروح الخبيثة المسيطرة على تلك النفوس الضعيفة التي بهرها وأرهبها ما ترى من تقلب الذين كفروا في البلاد، وانتهاكهم لأعراض المسلمين ومقدساتهم وهذا لون من ألوان الرجاء لابد من بثه في الأمة في هذه الآونة لاسيما ونحن نطرح المعنى العام للرجاء في رحمة الله جَلَّجَلَالُهُ وعدم اليأس والقنوط.

---

(١) «المدارج» (٢/ ٣٦).

حقيقة الرجاء

الرجاء لغة هو الأمل نقيض اليأس[١]، وأما تعريف الرجاء اصطلاحًا فهو ثقة القلب وطمعه في رحمة الله وتوقعه للثواب مع حسن العمل.

يقول ابن القيم رحمه الله: الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب، وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله[٢].

اقتران الرجاء بالعمل

الرجاء بغير عمل غرور وتمنٍّ لا ينفع صاحبه، ولا يستقيم رجاء العبد إلا إذا قارنه العمل الصالح والطاعة لله جل وعلا. قال معروف الكرخي: رجاؤك رحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق[٣]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: أحدها- محبة ما يرجوه، والثاني- خوفه من فواته، الثالث- سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيءٌ آخر، فكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات[٤]، ويقول مفرقًا بين الرجاء والتمني: إن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل فالأول كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها، والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح

---

(١) «لسان العرب» (١٤/ ٣٠٩٩ ط. دار صادر.

(٢) «المدارج» (٢/ ٣٥).

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» ص [٣٠].

(٤) «الداء والدواء» ص [٥٧].

obeikandl.com

إلا مع العمل، قال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء حسن الطاعة[١]، اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة في اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس في اختياره[٢]، وهو فضل الله سبحانه بصرف الموانع المفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه ماء الطاعات وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة، انتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره لذلك رجاء محمودًا باعثًا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت، وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونًا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة كان ذلك حمقًا وغرورًا قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وذم القائل: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٦][٣].

لا قنوط في الإسلام

الرجاء محمود ممدوح لأنه يبعث على العمل، وضده اليأس والقنوط وهو مذموم مرفوض في الإسلام؛ لأنه يقعد عن العمل ويصد عنه ولهذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حكاية عن نبيه يعقوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ودعا الله عباده كلهم إلى عدم القنوط واليأس من رحمته مهما عظمت الذنوب وكثرت الخطايا فرحمة الله أوسع وأعظم قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) «المدارج» (٢/ ٣٥).

(٢) كمن ألقى بذرة صالحة في أرض طيبة وتعاهدها وسقاها وانتظر نباتها.

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» ص [٣٠٤].

أصل الإيمان المحبة والخوف والرجاء

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة طلب القرب منه بالعبودية والمحبة فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب والخوف والرجاء، يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي يتقربون إلي بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعون من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء[(١)]، وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، فكل محب راج خائف بالضرورة، فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه وكذلك خوفه فإنه يخاف سقوطه من عينه وطرد محبوبه له وإبعاده واحتجابه عنه فخوفه أشد خوف ورجاؤه ذاتي للمحبة فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له لما يحصل به من حياة روحه، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه وبره وإقباله عليه ونظره إليه بعين الرضا وتأهيله في محبته وغير ذلك مما لا حياة للمحب ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه فرجاؤه أعظم رجاء وأجله وأتمه[(٢)].

باب الرجاء مفتوح لا يغلق

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. هذه آية عظيمة في عموم رحمة الله وشمولها لكل شيء فلا أرحم من الله وأرأف منه سبحانه ومن عظيم رحمته أنها وسعت كل شيءٍ كما قال الله أيضًا إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. أي: رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم[(٣)].

(١) «تهذيب المدارج» [٢٩٧-٢٩٩].

(٢) المصدر السابق [٢٩٩].

(٣) «المصباح المنير في تهذيب ابن كثير» ص [١٢٠١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ﴾ أي: لا تيأسوا منها فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة وتقولوا: قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعًا من الشرك والقتل والزنا والربا والظلم وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: وصفه المغفرة والرحمة وصفان لازمان ذاتيان لا تنفك ذاته عنهما ولم تزل آثارهما سارية في الوجود مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]. مفهوم الآية الكريمة أنهم إذا تابوا لم يعذبوا قال الرازي في تفسيره ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]. ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أمنة من الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها -أي عليكم الأمان لن يعاقبكم بعد توبتكم منها- ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: قضى الرحمة بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(٣)].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[٨٥٩].

(٢) «تفسير جزء عم» (١/ ٢٣٤) للشيخ مصطفى العدوي، ط. ماجد عسيري.

(٣) «تفسير الطبري» (٧/ ٢٠٨).

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]. وعسى من الله واجبة كما يقول أهل العلم بالتفسير.

والأحاديث في ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة ومنها ما رواه مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: من تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بمثل الأرض خطايا لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**»(١).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله، فقال: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده: إن رحمتي تغلب غضبي**»، وفي رواية «**سبقت غضبي**»(٣).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة**»(٤).

وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعاذ رديفه على الرحل قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك

---

(١) رواه مسلم برقم [٩٣].
(٢) رواه البخاري برقم [٥٩٩٩]، ومسلم برقم [٢٧٥٤].
(٣) رواه البخاري برقم [٧٥٥٣]، ومسلم برقم [٢٧٥١].
(٤) رواه مسلم برقم [٢٧].

obeikandl.com

يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثًا، قال: «**ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يتكلوا**» فأخبر بها معاذ عند موته تأثما[(١)].

في الحديث أن من مات على التوحيد حرمه الله على النار وأدخله الجنة فلا يخلد موحد في النار قط تلك هي عقيدة أهل السنة.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «**ياجبريل، اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟**» فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: «**يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**»[(٢)].

وقد علم أن شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع ومنها شفاعته لأهل الكبائر من أمته لكي يدخلوا الجنة، وشفاعته لأقوام دخلوا النار في أن يخرجوا منها وشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفعة درجات المؤمنين في الجنة وهذا مما يبعث في القلب روح الأمل والرجاء في رحمة الله تعالى.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم [١٢٨]، ومسلم برقم [٣٢].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٠٢].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٧٤٩].

obeikandl.com

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**»(١).

وروى مسلم في صحيحه عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٢).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئًا؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ تجوزوا عنه**»(٣).

فالله رحيم يحب أن يرحم، عفو يحب أن يغفر، كريم يحب أن يكرم، العفو أحب إليه من الانتقام والفضل أحب إليه من العدل فتعرض لرحمة الله واملأ قلبك طمعًا في رحمة أرحم الراحمين جل جلاله.

والأحاديث وأدلة الشرع في ذلك كثيرة في بيان؛ أن رحمة الله أوسع وأعظم، وأيًا كانت الذنوب، ومهما عظمت الخطايا ثم تاب العبد منها تاب الله عليه حتى لو وقع في الكفر بالله وأراد أن يتوب منه قبل الله توبته وغفر له ما كان منه وأما معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فهذه الآية فيمن مات على الشرك عياذًا بالله ومن فقه العالم والداعية ألا يقنط الناس من رحمة الله وكذلك من الفقه ألا يجرئهم على معاصي الله وتأمل حديث قاتل المائة كيف أن العالم قال لهذا القاتل: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم دله على الدواء النافع لمثله وأرشده إلى سبيل الثبات على التوبة فقال: «**انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم**

(١) رواه البخاري برقم [٦٠٠٠]، ومسلم برقم [٢٧٥٢].
(٢) رواه مسلم برقم [٢٦].
(٣) رواه البخاري برقم [٢٠٧٧]، ومسلم برقم [١٥٦٠].

openkandil.com

ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»[١]، إنه لا يغلق باب الرحمة والتوبة في وجه العصاة إلا جاهل غبي لأن الذنوب مهما تعاظمت فرحمة الله أوسع، هذا قتل مائة وما عمل خيرًا قط سوى توبته وقصده البلدة الصالحة ولكنه دخل الجنة، وهذه امرأة وسوس لها الشيطان وجرها إلى الوقوع في الرذيلة ثم يتحرك الإيمان في قلبها فتريد أن تحدث توبة صادقة فتنالها ويثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على توبتها ليكون ذلك الحديث بشارة ثابتة ودواء نافعًا لمن سقط في دركات الخطايا، وأسرته الشهوات، واستحكمت منه الذنوب والسيئات، ألا ييأس أبدًا من رحمة الله وألا يقنط منها قط روى مسلم في صحيحه من حديث عمر ان بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن امرأة من جهينة أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي حبلى من الزنا فقالت: يا رسول الله أصبت حدًا فأقمه علي، فدعا نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليها فقال: «**أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني**» ففعل فأمر بها نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ فقال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله** عَزَّوَجَلَّ»[٢].

الرجاء دواء

إنه لا يحدث بالرجاء كل أحد فإن من الناس من يزداد ضلالًا إذا سمع أدلة الرجاء؛ لأن من طبيعة الدواء إذا جاوز الحد أضر وإذا قل عن الحاجة لم ينفع ولم يؤثر يقول ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن دواء الرجاء يحتاج إليه رجلان: إما رجل غلب عليه اليأس حتى ترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله، فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة فلا ينبغي أن يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف، فإن أدوية الرجاء تقلب في حقه سمومًا، ولهذا يجب على واعظ الناس أن يكون متلطفًا،

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٧٠]، ومسلم برقم [٢٧٦٦].

(٢) رواه مسلم برقم [١٦٦٩].

ناظرًا إلى مواضع العلل، معالجًا كل علة بما يليق بها وهذا الزمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء، بل المبالغة في التخويف، وإنما يذكر الواعظ فضيلة أسباب الرجاء إذا كان مقصوده استمالة القلوب إليه لإصلاح المرض، وقد قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من مكر الله[1]، وإذا قال ذلك الشيخ في أهل عصره - أقصد المبالغة في التخويف - فإن عصرنا أحوج مرات ومرات لذلك لغلبة المنكرات واستحكام الغفلة، وتعدد وتنوع الشهوات المزينة التي تطغى وتلهي عن الله والدار الآخرة، ولكن بعض الناس غلبت عليهم حالة عجيبة من القنوط واليأس حيث سوَّل لهم الشيطان استحالة الخروج مما هم فيه من معاصٍ وسيئات وغرهم بذلك وأقعدهم فيما هم عليه وقد سمعت بأذني بعض العصاة يقول: هكذا هكذا نحن داخلون النار، وهذا من أخطر الوساوس وأخبث الوسائل التي يتخذها الشيطان في إغراق أولئك في سيئات أعمالهم ورضاهم بالحياة الدنيا من الآخرة وإيثارهم نعيمها العاجل على نعيم الآخرة العظيم المقيم فمثل هؤلاء يحتاجون إلى التذكير بواسع فضل الله وعظيم رحمته وقبوله التوبة من كل من تاب إليه مهما عظمت منه الذنوب والمعاصي، فربنا غفور رحيم،تواب حليم، ودود كريم جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه.

صفحات صادقة

المؤمن الصادق لا ينقطع رجاؤه في الله أبدًا، لأنه يعلم ويوقن أن الله أرحم الراحمين، لا أرحم منه ولا أرأف منه سبحانه، ولذلك مهما كثرت الذنوب وتنوعت، ومهما عظمت فإن الله يقبل توبة من تاب منها بل ويحبه ويقربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وكذلك إذا اشتد به بلاء وطالت عليه محنة فإنه لا يزال راجيًا رحمة ربه متطلعًا إلى فجر الفرج، وصبح العافية: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

(١) «مختصر منهاج القاصدين» ص [٣٠٦] ط. دار العقيدة.

[الشورى: ٢٨]، وإذا أردنا أن نقف على بعض الصور الإيمانية في هذا الباب فإننا نجد ذلكم النبأ الخالد لهذا النبي الكريم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما يبتلى بما وقع من أبنائه تجاه الكريم يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجده لم ينقطع أمله ولم يضعف رجاؤه في رحمة الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٧-١٨]، وحينما اشتد البلاء أكثر بذهاب ولده الآخر نرى هذا الرجاء باقيًا وهذا الأمل قويًا، وذلك حينما قال كبيرهم: ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨١-٨٣]، ثم أمرهم أبوهم يعقوب - صلوات الله وسلامه عليه - بالذهاب ومحاولة البحث عن يوسف وأخيه وألا ييأسوا من رحمة الله وفرجه كما قال الله تعالى عنه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ فإن الرجاء يوجب على العبد السعي والاجتهاد فيما رجاه وألا ييأس مما يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فإنهم لكفرهم يستجدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين، ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه[(١)].

ونشهد رَوح الرجاء وحقيقته في هذا الحديث الرائع العظيم الذي هو كالنهر الفياض بالمعاني العالية الكريمة إنه حديث كعب بن مالك وفيه أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا

(١) «تفسير السعدي» [٤٥٧-٤٥٨].

رسـول الله إني والله لو جلسـت عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعـذر، لقـد أعطيت جـدلًا ،ولكنـي والله لقد علمت لئـن حدثتك اليـوم حديث كذبٍ ترضى به عني ليوشـكن الله يسـخطك علي، وإن حدثتك حديـث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله عَزَّوَجَلَّ، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال: فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيـك**» وفي آخـر الخبر أنزل الله عَزَّوَجَلَّ توبته وقال: قلت: يا رسـول الله، إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت[(١)].

وتلمح هذا الرجاء العظيم أيضًا في حادثة الإفك المشـهورة وفيها تقول أم المؤمنين الصديقـة بنـت الصديـق عائشـة رضي الله عنهـا: فبينـما نحـن على ذلـك إذ دخـل علينا رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فسـلم ثـم جلس قالـت: ولم يجلس عنـدي منذ قيل مـا قيل وقد لبث شـهرًا لا يوحى إليه في شـأني قالت: فتشـهد رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين جلس ثم قـال: «**أمـا بعد يا عائشـة فإنه قد بلغـني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسـوف يبرئك الله، وإن كنـت ألممـت بذنـب فاسـتغفري الله وتوبي إليه فإن العبـد إذا اعترف بذنبه ثـم تاب تاب الله عليه**» قالت: فلما قضى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: والله ما أدري ما أقول لرسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السـن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: والله لقـد عرفـت، أنكم قد سـمعتم بهذا الحديث حتى اسـتقر في أنفسـكم وصدقتم به، ولئـن قلـت لكم إني بريئة والله يعلـم أني بريئة لا تصدقونني بذلـك، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُفَ:١٨]، قالـت: ثـم تحولـت فاضطجعت

(١) رواه البخاري برقم [٤٤١٨]، ومسلم برقم [٢٧٦٩].

على فراشي قالت: وأنا والله أعلم حينئذٍ أني بريئة وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما الله عَزَّوَجَلَّ فقد برأك»[(١)].

ومن كلمات الصالحين في الرجاء ما يلي:

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لايرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه.

يقول يحيى بن معاذ: يكاد رجاءي لك مع الذنوب يغلب رجاءي لك مع الأعمال لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أصفيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف.

وقال أيضًا: إلهي، أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاؤك[(٢)].

وقال ذو النون المصري في دعائه: اللهم إليك تقصد رغبتي وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفاتيح مسألتي، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه من غيرك، ولا أيأس من روحك بعد معرفتي بفضلك[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٧٥٠]، ومسلم برقم [٢٧٧٠].

(٢) «تهذيب المدارج» ص [٢٩٨].

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/ ٣٣٣)

وأنشد الشافعي في مرض موته:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما[1]

قال أحمد بن العباس النمري:

إني لأرجو الله حتى كأنني ... أرى بجميل الظن ما الله صانعُ

ويقول محمود الوراق:

حسن ظني بحسن عفوك يا ... رب جميل وأنت مالك أمري

صنت سري عن القرابة والأهـ ... ـل جميعًا وكنت موضع سرِّي

ثقة بالذي لديك من الستر ... فلا تخزني يوم نشري

لقني حجتي وإن لم تكن يارب ... لي حجة ولا وجه عذر

أي أخي، رحمة ربنا واسعة، والله قريب ممن دعاه، سميع لمن ناجاه، عليم بمن تاب إليه ورجاه، ينصر من تولاه، وإذا اسْتُغفر غفر، وإذا اسْتُرحم رحم، وإذا دُعي أجاب، وإذا سئل أعطى، ولكن أين أنت من الدعاء؟! أين أنت من التضرع إلى الله والتململ والتمسكن والتذلل بين يديه؟! سل الله وأنت موقن بالإجابة، واستغفر الله وأنت واثق من حصول المغفرة، استعن بالله وكن على يقين أن عون الله حاصل لك، إن وقعت في معصية فاستغفر الله وتب إليه ولا يمل الله حتى تمل، ولا يقطع الله عنك رجاءه أبدًا، وإن ابتليت فأعظم رجاءك في رحمة ربك والهج بالدعاء ودم عليه حتى يفرج ما بك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفرلي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له**».

وفي لفظ: «**ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لايتعاظمه شيءٌ أعطاه**»[2].

---

(١) «السير» للذهبي (١٠/ ٧٦).

(٢) رواه البخاري برقم [٦٣٣٩]، ومسلم برقم [٢٦٧٩].

obeikandi.com

وقد نهى النبي عن هذه الكلمة «اللهم اغفر لي إن شئت» وذلك والله أعلم لوجوه

الأول- أنه يشعر بأن الله له مكره على الشيء وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه فكأن الداعي بهذه الكيفية يقول: أنا لا أكرهك إن شئت فاغفر وإن شئت فلا تغفر.

والثاني- أن قول القائل «إن شئت» كأنه يرى أن هذا أمرٌ عظيم على الله عَزَّوَجَلَّ فقد لا يشاؤه لكونه عظيمًا ولهذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء**».

الثالث- أنه يشعر بأن الطالب مستغن عن الله كأنه يقول: إن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل فلا يهمني ولهذا قال: «**وليعظم الرغبة**» أي: يسأل برغبة عظيمة والتعليق ينافي ذلك[1].

لزوم الجمع بين الخوف والرجاء

أدلة القرآن والسنة متظاهرة متضافرة على لزوم الجمع بين الخوف والرجاء وكثير من الناس مغرور مخدوع بالرجاء وحده فتراه إذا لامه لائم على معصية قال: يا أخي، ربنا غفور رحيم، وبعضهم يقول: إن لم ندخل نحن الجنة من سيدخلها! يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: وللجهال من هذا الضرب من الناس غرائب وعجائب كقول بعضهم:

وكثر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على كريم

وقول الآخر: التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله.

وقول الآخر: ترك الذنوب جراءة على مغفرة الله واستصغار لها، وقال أبو محمد ابن حزم: رأيت بعض هؤلاء من يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من العصمة[2].

---

(١) «القول المفيد» [٥٨٠] ط. دار ابن الجوزي.

(٢) «الداء والدواء» ص [٢٨].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه فضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند[(١)].

إن حال كثير من الناس ينطق بهذه الغفلة المقننة التي خدعهم بها الشيطان الرجيم، نعم إن الله غفور رحيم ولكن عذابه أليم وعقابه شديد فهو متصف بالوصفين معًا وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين هذا وذاك في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»[(٢)].

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك**»[(٣)].

إن الركون إلى الرجاء وحده خطر، بل هو سبيل للوقوع في المعاصي وارتكابها لذلك لابد أن تستعمل سياط الخوف لتنبيه القلوب من غفلتها وردعها عن غيها، ومنعها من التمادي في سيئات أعمالها، وكما أن الخوف لا يصلح وحده فكذلك الرجاء لا يصلح وحده، بل لابد منهما معًا وبهما يسير العبد إلى ربه وإلا كان الهلاك والزلل والفساد والخلل، عياذًا بالله جَلَّ جَلَالُهُ، يقول الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: والواجب على المؤمن

---

(١) المصدر السابق، ص [٣٦].

(٢) رواه مسلم برقم [٧٢٥٥].

(٣) رواه البخاري برقم [٦٤٨٨].

والمسلم أن يعلم أن الإسلام لا يقر الأمن من مكر الله كما لا يقر اليأس من روح الله، فهو بين هذا وهذا، فهو يسير خائفًا راجيًا يخاف من الله عَزَّوَجَلَّ أن يعاقبه أو أن يستدرجه وأنه إذا فعل ذنبًا لا ييأس من روح الله عَزَّوَجَلَّ[١]، ويقول الفوزان حفظه الله: هذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو بين مذهب المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية فإذا كان الإنسان مؤمنًا بقلبه فلا تضره المعصية فهؤلاء أمنوا مكر الله ويقولون: الأعمال لا تدخل في حقيقة الإيمان فيدخل الجنة وإن لم يعمل شيئًا عندهم، وهذا مذهب أفسد الدنيا وتحلل الناس من الدين بسببه، وبين الوعيدية الخوارج الذين يكفِّرون بالكبائر التي دون الشرك[٢]، لذلك إذا قلنا بوجوب الرجاء فلابد من القول بعدم الإرجاء ذلكم المرض الخبيث الذي ينخر في جسد الأمة ويقعد أكثر الناس عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ اعتمادًا على معناه الباطل ولذلك فليعلم أن الرجاء شيء والإرجاء شيء آخر.

ثمرات الرجاء وفوائده

وكما أن الرجاء يبرد حرارة الخوف فإن له فوائد كثيرة أُخر مشاهدة منها:

إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغنى عن فضله وإحسانه طرفة عين.

ومنها: أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد، أجود من سئل وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى ويؤمل ويسأل وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[٣]، والسائل راج وطالب فمن لم يرج الله يغضب عليه، فهذه فائدة أخرى من فوائد الرجاء وهي التخلص به من غضب الله.

---

(١) «جامع شروح الطحاوية» (٢/ ١٣٧٨).

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) رواه الترمذي برقم [٣٣٧٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» ص [٢٤١٨].

ومنها: أن الرجاء حاد يحدو به في سيره إلى الله، ويطيب له المسير ويحثه عليه ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء ما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب ويزعجه الخوف ويحدوه الرجاء.

ومنها: أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة ويلقيه في دهليزها فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه؛ ازداد حبًا لله تعالى، وشكرًا له ورضا به وعنه.

ومنها: أنه يبعثه على أعلى المقامات وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية فإنه إذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره.

ومنها: أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى متعبد بها داع بها قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا ينبغي أن يُعطَّل دعاؤه بأسمائه الحسنى التي هي أعظم ما يدعو بها الداعي.

ومنها: أن المحبة لا تنفك عن الرجاء فكل واحد منهما يمد الآخر ويقويه.

ومنها: أن الخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف فكل راج خائف وكل خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قال كثير من المفسرين: المعنى مالكم لا تخافون لله عظمة؟!

ومنها: أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطف موقعًا وأحلى عند العبد وأبلغ من حصول ما لم يرجه.

ومنها: أن في الرجاء -من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله- ما يوجب تعلق القلب بذكره ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته.

ومنهـا: أن المحـب الصادق في رجائه لابـد أن يقارنه أحيانًا فرح بمحبوبه ويشـتد فرحـه بـه، ويرى مواقع لطفه به، وبره به وإحسـانه إليه، وحسـن دفاعـه عنه، والتلطف في إيصاله المنافع والمسـار والمبار إليه بكل طريـق، ودفع المضار والمكاره عنه بكل طريق، وكلما فتش عن ذلك اطلع منه على أمور عجيبة لايقف همه ومقتبسـه لها على غاية، بل ما خفـي عنـه منها أعظم فيداخله من شـهود هذه الحالة نوع انبسـاط ولا ينكر فرح القلب بالـرب تعـالى وسروره به وابتهاجـه وقرة عينه ونعيمه بحبه والشـوق إلى لقائه إلا كثيف الحجاب حجري الطباع.

ومنها: سرعة السـير وهذا كمن هو سائر إلى مدينة فإذا شارفها ورآها رأى الطريق حينئذٍ واضحة إليها، واسـتنارك ضياؤها واتصالها بالمدينة وكان قبل مشاهدة المدينة على علـم -أوظـن- أنه يجوز معه أن يضيـع عن باب المدينة وأما الآن فقـد أمن من أن يضيع عنـه البـاب وكذلك الراجي إذا انقطعت عنه الموانع واسـتبان له الطريق طمع بالوصول وصـارت حالـه حال معاين بـاب المدينة من حين يقع بصره عليه وكحال معاين الشـفق الأحمـر قرب طلوع الشـمس حيـث تيقن أن الشـمس بعده فتسـتجمع له قـوى الظاهر والباطن على قصد الوصول والعزم عليه لمشاهدته ما هو سائر إليه[1].

❁❁❁

(١) «تهذيب المدارج» [٣٠٢-٣٠٤] باختصار يسير.